

تَهذِيبُ اللُّغَةِ

لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى

٣٧٠ - ٢٨٢

تقديم

بقلم

عبد السلام هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأزهري: حياة أبي منصور الأزهري - شيوخه في بغداد - عودته إلى هراة - تلاميذه - وفاته .
كتب الأزهري - تهذيب اللغة - مقدمة التهذيب - الدافع إلى تأليفه للتهذيب - ولوعه باللغة
ورأيه في الاستشهاد بكلام العرب - أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في التهذيب - منهج الأزهري في تأليف
الكتاب وترتيبه - تاريخ تأليفه للتهذيب - موقف الأزهري من كتب اللغة - قيمة كتاب
التهذيب - نسخة الأزهري من التهذيب - مخطوطات التهذيب .

الأزهري

٢٨٢ - ٢٧٠

هذه هي شهرته . وهو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر ،
الأزهري^(١) الهروي الشافعي .

والأزهري : نسبة إلى جده الأزهر .

والهروي : نسبة إلى هراة ، حيث ولد بها سنة ٢٨٢ .

وهراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، قال ياقوت :

« ولم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجل ولا أعظم ولا أخصر ولا
أحسن ولا أكثر أهلاً منها . فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة . محشوة
بالعلماء ، ومملوءة بأهل الفضل والثراء . وقد أصابتها عين الزمان ، ونكبتها طوارق الحدائث ،
وجاءها الكفار من التتر فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وذلك في سنة ٦١٨ .

(١) هذه النسبة المثبتة في مقدمة نسخة م يطابها ما ورد في إنباه الرواة للقطبي في قسم الكنى . وفي
معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ : « محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة بن نوح بن الأزهر بن نوح بن حاتم بن سعيد بن
عبد الرحمن » . وفي طبقات الشافعية ٢ : ١٠٦ : « محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروي » . وفي وفيات
الأعيان : « محمد بن أحمد بن الأزهر طلحة بن نوح بن أزهري » فجعل « الأزهر » لقباً أيضاً لجده طلحة . وفي
بنيّة الوعاة ٨ : « محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح » . وهو واضح الخطأ . وفي شذرات الذهب
٣ : ٧٢ : « محمد بن أحمد بن الأزهر » .

وفيها يقول أبو أحمد السامى الهروى :

هراة أرضٌ خصبها واسع ونبتها البُفاح والترجسُ
ما أحد منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفس

والشافعى : نسبة إلى مذهبه الفقهى ، يقول السبكي فى طبقات الشافعية : « كان إماما فى اللغة بصيرا بالفتىة طارفا بالمذهب ، على الإسناد ، تحين الورع ، كثير العبادة والمراقبة ، شديد الاتصار لألفاظ الشافعى ، متحرىا فى دينه . »

حياة أبى منصور الأزهرى :

أقام أبو منصور صدر حياته فى مدينة هراة حيث ولد بها سنة ٢٨٢ وسمع بها من الحسين بن إدريس ، ومحمد بن عبد الرحمن السامى وطائفة ، كما ذكر السبكي فى طبقاته . ثم سافر أبو منصور عن هراة مسقط رأسه ، شابا يافعا ، إلى أرض العراق قاصداً للحج . وعند عودته من الحج أسرته الأعراب فى طريقه ، وذلك فى فتنة القرمطى^(١) سنة ٣١٢ فى أيام المعتز بالله بن المعتضد^(٢) ، وكانت سن الأزهرى فى ذلك الحين نحو الثلاثين ، لأن مولده كان سنة ٢٨٢ .

والقيرمطى هذا هو أبو طاهر الحسين بن أبى سعيد الجنابى^(٣) . وكان قد اعترض الحجاج وهم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدوا ما فرض الله عليهم ، فقطع عليهم الطريق فقَاتلوه دفعا عن أموالهم وأنفسهم وحرىهم ، فقتل منهم خلقا كثيرا لا يعلمهم إلا الله ،

(١) القرمطى ، بكسر القاف والميم : نسبة إلى قرمط ، وكان رجلا من سواد الكوفة ، ولقراءة مذهب مذموم ، وكانوا قد ظهروا فى سنة ٢٨١ فى خلافة المعتضد ، وطالت أيامهم وعظمت شركتهم واستولوا على بلاد كثيرة . انظر السمعانى ٤٤٨ وابن خلكان فى ترجمة الأزهرى .
(٢) انظر صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرمطى فى حوادث تلك السنة ١٢ : ٦١ والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) الجنابى بفتح الجيم وتشديد النون : نسبة إلى جنابة ، وهى بلدة بساحل بحر فارس . انظر السمعانى وابن خلكان وياقوت . وقد ظهر أبو سعيد الجنابى القرمطى سنة ٢٧٨ بناحية البحرين وهجر ، وقتله خادم له سنة ٣٠١ كما فى وفيات الأعيان فى ترجمة الأزهرى والطبرى ١١ : ٤٠٨ . وفى الجزء الأول من التهذيب ص ٣٧٦ فى مادة (ميج) : « وسمت أعرابيا من بنى كليب يقول : لما فتح أبو سعيد القرمطى هجر سوى حظار آمن سغب النخل ، وملاه ، من النساء المجرىات ثم ألجج النار فى الحظار فاحترقن . »

وأسر من نسائهم وأبنائهم ، واصطفى من أموالهم ما أراد ، وترك بقية الناس بعد ما أخذ جاهلهم وزادهم ، وأموالهم ونساءهم ، بلا زاد ولا يحمل .

ويذكرون أن عُمر هذا الطاغية كان إذ ذاك سبع عشرة سنة .

وقد سجّل الأزهرى هذه الحادثة إذ يقول في مقدمة تهذيب اللغة^(١) :

« وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاجّ بالهبير ، وكان القوم الذين وقعت في سبهم عرباً عامتهم من هوازن^(٢) ، واختلط بهم أصرامٌ من تميم وأسد بالهبير ، نشئوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ، ويرعون النعم ويميشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية ، وقرأتهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في إسارهم دهرًا طويلًا . وكنا ننشئ الدهناء وتربع الصبان ، وتنقيظ الستارين ، واستفدت من مخاطبتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب ، وستراها في مواضعها إذا أتت قراءتك عليها إن شاء الله . »

وأقام الأزهرى في ذلك الأسر دهرًا طويلًا ، كما يقول ، ثم تخاص من الأسر ودخل بغداد ، كما يقول القفطي ، وقد استفاد من الألفاظ العربية ماشوقه إلى استيفائها ، وحضر مجالس أهل العربية . *

شيوخه في بغداد :

وفي بغداد تلمذ على :

١ - أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نبطويه (٢٤٤ - ٣٢٣)

٢ - أبي بكر محمد بن السرى بن سهل ، المعروف بابن السراج (٣١٦ -)

٣ - أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى (٢١٤ - ٣١٧)

قال ابن خلكان : « ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر بن الأبارى ، ولم ينقل عنه أنه أخذ عنهما شيئًا . »

(١) انظر ص ٧ .

(٢) مما يذكره التاريخ أن القرامطة جمعوا يستميلون بعض العرب ويدعونهم إلى نجاتهم حتى استجاب لهم أهل البحرين وما والاها . انظر ياقوت في رسم (جنابة) . فلعل هؤلاء الأعراب كانوا من الموالين للقرامطة ، أو أن هؤلاء القوم أسروا الأزهرى مساوقة للموضى السياسية التي ضربت أطنابها في هذه الحقبة من الزمن .

لكن ذكر الأزهرى في مقدمة التهذيب ص ٢٧ أبا إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج (- ٣١١) وقال: «حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب - يعنى كتاب المعانى - فألقيت عنده جماعة يسمونه منه » .

ثم قال: « وما وقع فى كتابى له من تفسير القرآن فهو من كتابه ، ولم أتفرغ ببغداد لسماعه منه » .

وهذا يعنى أنه سمع منه بعض السماع .

ويقول الأزهرى أيضا فى أبى بكر بن الأبارى فى المقدمة ص ٣١ عند الكلام على ابن قتيبة: « ورأيت أبا بكر بن الأبارى ينسبه إلى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة . وقد رد عليه قريبا من ربع ما ألفه فى مشكل القرآن » .

ولمى الأزهرى فى بغداد أيضا أبا بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١) ولكنه لم يأخذ عنه شيئا . وفيه يقول فى المقدمة^(١) ص ٣١:

« ومن ألف فى عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، صاحب كتاب الجهرة وكتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحن . وحضرته فى داره ببغداد غير مرة فرأيت يروى عن أبى حاتم ، والرياشى ، وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه ، فاستخف به ولم يوثقه فى روايته . ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه . وتصفحت كتاب الجهرة له فلم أراه دالا على معرفة ناقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوها ، وأوقع فى تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها ، فأثبتها من كتابى فى مواقعها منه ، لأبحث عنها أنا أو غبرى ممن ينظر فيه ، فإن صححت لبعض الأئمة اعتمدت ، وإن لم توجد لغيره وقعت »

فهذا النص يطلعنا على مدى العلاقة العلمية بين الأزهرى وابن دريد ، وعلى مدى توثيقه له .

لكن السيوطى يقول فى المزهرة ١ : ٩٣ : « قلت معاذ الله ، هو برىء بمارى به . ومن طالع الجهرة رأى تحريه فى روايته » .

(١) هذا هذا النص الغالى ما جاء لى إنباه الرواة ومهجم الأدباء عن المطيب البندادى قال : « دخلت على أبى بكر محمد بن دريد داره ببغداد لأخذ عنه شيئا من اللغة ، فوجدته سكران فاعدت إليه » .

عودته إلى هراة :

ويبدو أنه لم يمكث ببغداد طويلا . قال القفطى :

« ثم رجع أبو منصور رحمه الله إلى هراة ، واشتغل بالفقه على مذهب الشافعى ، وأخذ اللغة عن مشايخ بلده ، ولازم للندرى الهروى وأخذ عنه كثيرا من هذا الشأن ، وشرع فى تصنيف كتابه للسمى تهذيب العرب^(١) فأعانه فى جمعه كثرة ما صنف بخراسان من هذا الشأن فى ذلك الوقت وقبله بكثير ، كتصنيف أبى تراب ، وأبى الأزهر ، وغيرهما ممن اعتمد الجمع والتكثير . »

ومن أبرز شيوخه فى هراة كما يفهم من تتبع رواياته فى التهذيب :

١ - أبو الفضل محمد بن أبى جعفر للندرى الهروى المتوفى سنة ٢٢٩ . وهو أكبر شيوخه ، ومن قرأ على ثعلب والمبرد . وفيه يقول ياقوت^(٢) : « وهو نحوى لغوى مصنف فى ذلك ، وهو شيخ أبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى الذى أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه . »

وفى هذا التعبير من ياقوت مبالغة واضحة ، كما سيأتى عند الكلام على منهج الأزهرى فى تأليف التهذيب .

٢ - أبو محمد المزنى ، واسمه أحمد بن عبدالله ، وكان يقال له ببخارى « الشيخ الجليل » . وهو من أهل هراة كما ذكر السمعانى^(٣) ، قال الحاكم فى تاريخ نيسابور : « كان إمام أهل العلم والوجوه وأولياء السلطان بخراسان فى عصره بلا مدافعة » . سمع بهراة ونيسابور ومرو الروذ ونسا وجرجان وبغداد والكوفة والبصرة والأهواز ومكة ومصر والشام . وتوفى سنة ٣٦١ .

ويروى الأزهرى عنه رواية عن أبى خليفة الفضل بن الحباب عن أبى محمد القاسم بن سلام .

٣ - أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، نسبة إلى « بَغْ » أو « بغشور » ،

(١) كذا . واسمه الصحيح « تهذيب اللغة » . مقدمة التهذيب ص ٥٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٩٩ .

(٣) الأنساب للسمعانى ٥٢٧ .

وهي بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهرارة . ولد سنة ٢١٢ وتوفي سنة ٣١٧ كما ذكر السمعاني .

٤ - أبو بكر بن عثمان . ذكره الأزهرى في المقدمة ص ٢٢ في ترجمة أبي حاتم السجستاني حيث ذكر كتاب السجستاني في القراءات ، قال : « قرأه علينا بهرارة أبو بكر بن عثمان » .

٥ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن هاجك .

٦ - أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوى . يروى عن الربيع بن سليمان عن الشافعى .

٧ - أبو بكر الإيادى ، تلميذ شمر بن حمدويه الهروى ، انظر للمقدمة ص ٢٥

والحق إن إحصاء شيوخ الأزهرى يحتاج إلى دراسة طويلة مصدرها الأول ما ذكره هو في مقدمة التهذيب .

تلاميذه :

كان لتأليف الأزهرى لكتابه «التهذيب» أثر كبير في الدراسات اللغوية، واجتلاب عدد كبير من طلاب اللغة الذين كانوا يقرءون عليه هذا الكتاب في هراة . وقد حفظ التاريخ من أسماء تلاميذه طائفة صالحة ، منهم :

١ - أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى (٤٠١ -) صاحب كتاب الغريبين : غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وهو ألمع تلاميذه وأبرزهم . لقبه ابن الأثير في مقدمة النهاية بـ « صاحب الإمام أبي منصور الأزهرى اللغوى » .

ويقول القفطى :

« ولما صنف أبو منصور كتابه «التهذيب» قرأه عليه الأجلاء من أهل بلده وأشرفها ورواه عنه أبو عبيد الهروى المؤدب ، مصنف كتاب الغريبين ، وكان تلميذاً له وملازماً حلقتة ، ومن كتابه صنف غريبه ، وهو التهذيب ، كتاب قد اشتمل من لغة العرب على جزء متوفر مع جُسأة في عبارة المصنف وعجرفية في ألفاظه » .

ويفهم من هذا النص أن جماعة من الهرويين لم تعين أسماءهم كانوا تلاميذ لأبي منصور ، ولا سيما بعد تأليفه كتاب التهذيب .

(١) الجسأة ، بالضم : الصلابة والحشونة .

٢ - وذكر ابن الأثير في الكامل^(١) أن «الشار أبو نصر^(٢)» أمير غر شستان^(٣)، سمع من الأزهرى كتاب تهذيب اللغة. قال ابن الأثير: «ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للأزهرى في اللغة بخطه، وعليه ما هذه نسخته: يقول محمد بن أحمد الأزهرى: قرأ على الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله إلى آخره وكتبه بيده - صح».

قال ابن الأثير: «فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية؛ فإن من يصحب مثل الأزهرى ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلاً».

٣ - ومن تلاميذه أيضاً أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي. قال ياقوت^(٤): «عظيم القدر شائع الذكر عارف باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهرى، وروى عن أبي أحمد العسكري وروى عنه كتبه، ثم قدم مصر فأقام بها إلى أن قتله الحاكم من الملوك المصرية للنتسبة إلى الملوين في سنة ٣٩٩. . . وأخذ عنه بمصر أبو سهل الهروي وغيره، من أهل مصر وغيرهم. وكان مجلسه بمصر في جامع للقياس، وهو الذي فيه العمود الذي يعتبرون به زيادة النيل من نقصه».

ويروي ياقوت والسيوطي^(٥) أنه قيل للحاكم: إن جنادة رجل مشؤوم، يقعد بالقياس ويلقى النحو، ويعزّم على النيل فلذلك لم يزد. فأمر بقتله لذلك.

وقد روى جنادة هذا كتاب التهذيب عن الأزهرى، كما سيأتى عند القول في مخطوطات التهذيب.

وتوفي جنادة هذا سنة ٣٩٩.

ومن تلاميذ الأزهرى الذين ذكروهم السبكي في طبقات الشافعية:

٤ - أبو يعقوب القراب.

٥ - أبو ذر عبد بن حميد.

(١) الكامل ٩ : ٥٥ في حوادث سنة ٣٨٩. وقد أشار إلى هذا النص بروكلمان في كتابه.
(٢) قال ابن الأثير: «الشار: لقب كل من يملك بلاد غر شستان، ككسرى، الفرس وقيصر، الروم والنجاشي للحبيشة.
(٣) غر شستان، ويقال أيضاً غرج الشار: ولاية في شرقي هراة. والفرج، معناه الجبال. عن ياقوت في معجم البلدان.
(٤) معجم الأدباء ٧ : ٢٠٩ - ٢١٠.
(٥) في بقية الرواة ص ٢١٣.

٦ - أبو عثمان سميد القرشي .

٧ - الحسين الباشاني .

٨ - علي بن أحمد بن خمرويه .

وفاته :

يكاد المؤرخون يجمعون أنه توفي سنة ٣٧٠ بالمدينة التي ولد بها ، وهي مدينة هراة .
وذكر بعضهم أن وفاته كانت سنة ٣٧١ . لم تخرج الأقوال عن هذين القولين .

كتب الأزهرى

١ - يعد كتاب تهذيب اللغة في قبة تأليفه ، وقد ألفه بعد بلوغه السبعين ، كما يفهم من مقدمته . وسأفرد لهذا الكتاب قولاً خاصاً .

٢ - كتاب الأدوات ، ذكره ياقوت والسيوطى . ويبدو أنه من كتب اللغة أو النحو . ولم يذكر في كشف الظنون^(١) إلا كتاب الأدوات لأبى عبدالله محمد بن على بن حميدة النحوى المتوفى سنة ٥٥٠ .

٣ - تفسيراً ألفاظ مختصر المزنى : والمزنى هذا هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى المتوفى سنة ٢٦٤ . وذكره القفطى باسم « كتاب الألفاظ الفقهية » . والسبكى بلفظ « كتاب تفسير ألفاظ المزنى » . وابن خلكان بلفظ « تصنيف فى غريب الألفاظ التى استعملها الفقهاء » ، وقال : « فى مجلد واحد ، وهو عمدة الفقهاء^(٢) فى تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه » .

وفى كشف الظنون عند الكلام على مختصر المزنى فى فروع الشافعية : « وهو متداول فى كل الأمصار - كما ذكره النووى فى شرح التهذيب - للشيخ الإمام إسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى المتوفى سنة ٢٦٤ . وهو أول من صنف فى مذهب الشافعى » ، ثم قال :

« وفى تفسير ألفاظه كتاب لمحمد بن أحمد بن منصور الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ » . وذكره بروكلمان باسم « كتاب الظاهر^(٣) فى غريب ألفاظ الشافعى » . ومنه نسخ فى برلين ٤٨٥٢ وكوبنبريلى ٥٦٨ والمتحف البريطانى ثان ٣٤٠ وطب قيو ٢٧٨٢ ودار الكتب ١٦ : ٢ برقم ٣٥٠ لغة .

وعنوان نسخة دار الكتب المصرية « كتاب الزاهر فى غرائب ألفاظ الإمام الشافعى الذى نقله عنه المزنى رحمة الله عليهم » .

وأول هذا الكتاب : « قال أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر » . وفى مقدمته :

(١) كشف الظنون ٢ : ٢٦٠

(٢) أى الكتاب الذى يعتمدون عليه . وظن بعضهم أن « عمدة الفقهاء » اسم كتاب آخر له فى الفقه .

(٣) يبدو أنه خطأ فى الترجمة ، سوابه « الزاهر » كما هو عنوان النسخة التى أشار إليها بروكلمان .

« فأعلمت رأبي في تفسير ما استغرب منها - يعنى كتب الشافعى - فى الجامع الذى اختصره المزنى أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى رحمه الله ، من جميعها » .

والكتاب مرتب على أبواب الفقه . ومنه نسخة دار الكتب فى ١١٩ ورقة بخط محمود صدق النساخ فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٦ عن نسخة بمكتبة أحمد بك الحسينى .

ومن هذا القبيل من تصانيف اللغة كتاب « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » يعنى شرح الوجيز للإمام الرافعى . والوجيز هذا كتاب فى فروع الشافعية للإمام الغزالي (٤٥١ - ٥٠٥) وقد شرحه الرافعى ، واسمه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الشافعى المتوفى سنة ٦٢٣ . شرحه شرحاً كبيراً سماه « فتح العزيز على كتاب الوجيز » .

٤ - التقريب فى التفسير . ذكره ياقوت وابن العماد ، وأورده القفطى وابن خلكان بلفظ « كتاب التفسير » . وهو من كتب تفسير القرآن الكريم . ذكره صاحب كشف الظنون ١ : ٣٠٦ قال : « تفسير الأزهرى المسمى بالتقريب ، يأتى » . ثم ذكر فى ١ : ٣١٩ : « تقريب فى التفسير لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى الشافعى » .

٥ - تفسير أسماء الله عز وجل . ذكره ياقوت . وأورده السبكى بلفظ « تفسير الأسماء الحسنى » . وسماه صاحب كشف الظنون ٢ : ٥٠ « شرح أسماء الله الحسنى » . وانظر لما قيل فى الأسماء الحسنى تفسير أبى حيان ٤ : ٤٢٩ .

٦ - تفسير إصلاح المنطق لابن السكيت . ذكره ياقوت والسبكى ، وكذا كشف الظنون ١ : ١١٢ . ولعل الأزهرى أول شارح لهذا الكتاب .

٧ - تفسير السبع الطوال . ذكره ياقوت والسبكى وكذا كشف الظنون ١ : ٣٠٩ - ٣١٠ . والمراد بالسبع الطوال ما عرف فيما بعد بالمعلقات السبع ، التى سماها أبو بكر ابن الأنبارى (٢٧١ - ٣٢٨) من قبل « القصائد السبع الطوال » . وظن بعضهم خطأ أن هذا الكتاب فى تفسير بعض سور القرآن الكريم ، إذ يقول فى الكلام على الأزهرى : « هو فى التفسير من الممتازين ، فقد ألف تفسيراً للسبع الطوال » ١١ .

٨ - تفسير شعر أبى تمام . ذكره ياقوت . وعند السبكى « تفسير ديوان أبى تمام » والسيوطى « شرح شعر أبى تمام » . وجاء فى كشف الظنون ١ : ٥٠١ عند الكلام على ديوان أبى تمام : « وفسره أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠ » .

- ٩ - تفسير شواهد غريب الحديث . ذكره ياقوت . ولعله ترحح لشواهد غريب
الحديث لأبي عبيد^(١) .
- ١٠ - الحفيض . ذكره صاحب كشف الظنون ٢ : ٢٧٤
- ١١ - الرد على الليث . ذكره ياقوت .
- ١٢ - علل القراءات . أورده ياقوت والسبكي . ولم يذكر صاحب كشف الظنون في
سلسلة كتب العلل .
- ١٣ - كتاب في الروح وما جاء فيها من القرآن والسنة . ذكره ياقوت . وأورده السبكي
بلفظ « كتاب الروح وما ورد فيها من الكتاب والسنة » .
- كتاب معاني شواهد غريب الحديث . كذا جاء في معجم الأدباء عند سرد
كتبه . وهو بلاريب كتاب تفسير شواهد غريب الحديث الذي سبق الكلام عليه في رقم ٩ .

(١) انظر مقدمة التهذيب ص ٢٠ .

تهذيب اللغة

يعد هذا الكتاب في قمة كتب الأزهري . كما يعد من أوثق المعاجم اللغوية . وبحقّ ماسى الأزهري كتابه « تهذيب اللغة » . يقول في ذلك^(١) :

« وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة ؛ لأنى قصدت بما جمعت فيه نبيّ ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها ، وغيرها الغم عن سننها ، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطاء بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات إلى العرب » .

ومع ضخامة هذا المعجم واتساع جنباته يقول الأزهري إنه لم يذكر فيه إلا ما صح من سماع ، أو ما كان رواية عن ثقة ، أو حكاية عن ذى معرفة ناقبة افتقرت إليها معرفته . وهو يعتذر عن هذا الإيجاز بقوله^(٢) :

ولو أنى أودعت كتابي هذا ماحوته دفاترى وقرأته من كتب غيرى ، ووجدته فى الصحف التى كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون ، لطال كتابي ، ثم كنت أحد الجائنين على لغة العرب ولسانها . ولقليل لا يخزى صاحبه ، خير من كثير يفضحه » .
ثم يقول :

« ولم أودع كتابي هذا إلا ما صح لى سماعاً منهم أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ناقبة افتقرت إليها معرفتى ، اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن دريد وابن المظفر فى كتابيهما ، فبيّنت شكى فيها وارتيابى بها ، وستراها فى مواقعها من الكتاب ووقوفى فيها » .

ويقول أيضاً معتذراً عن حذف بعض الحروف والشواهد :

« وامل ناظراً ينظر فى كتابي هذا فيرى أنه أخلّ به إعراضى عن حروف لعله يحفظها لغيرى ، وحذفى الشواهد من شعر العرب للحرف بعد الحرف ، فيتوهم ويوهم غيره أنه حفظ ما لم أحفظ ، ولا يعلم أنى غزوتُ فيما حذفته إعفاء الكتاب من التطويل الممل ، والتكثير الذى لا يحصل » .

(٢) المقدمة ص ٤٠ .

(١) المقدمة ص ٥٤ .

وفي هذه الأقوال ما يلتقى ضوءاً واضحاً على المنهج العام الذى التزمه فى صنع الكتاب .

مقدمة التهذيب :

تعد مقدمة التهذيب من أهم الوثائق فى تأريخ التأليف اللغوى وتاريخ المدارس اللغوية الأولى .

فقد بين فى صدرها أن الصحابة لم يكونوا بحاجة إلى تعلم اللغة ؛ إذ كان رسول الله صلى الله عليه يبين للمخاطبين من أصحابه بجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه . ثم ذكر أن الحاجة قد أدركت من بعد الصحابة، ليعرفوا ضروب خطاب السنة ، ومعرفة السنة المبينة لجمل التنزيل .

وعقد فصلاً لبيان فضل اللسان العربى واتساعه ، فهو أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً . واللغة لا يحيط بها إلا نبى . واستشهد لذلك بكلام طويل للشافعى فيه : « وما نعلم أحداً يحيط بجميعها غير نبى » .

الدافع له إلى تأليف هذا الكتاب :

وفي هذه المقدمة بين الأزهرى أن الدافع له إلى تأليف هذا الكتاب الذى قصد به معرفة معانى القرآن وألفاظ السنة ، خلال ثلاث :

١ - حرصه على تقييد النصوص التى حفظها ووعاها من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقام بين ظهرائهم سُنَيَات أيام الأسر . وهذه ميزة للتوثيق اللغوى لا يقوم إزاءها الأخذ عن العلماء .

٢ - حرصه على أداء النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين ، عملاً بالحديث النبوى الكريم : « ألا إن الدين النصيحة لله ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ولعلمائهم » .

٣ - ما لحظه فى الكتب التى ألفت فى اللغة من دخل وعوار لا يفتن له أبناء زمانه الذين لا يميزون الصحيح من السقيم .

هذه الحوافز مجتمعة دفعته إلى أن يفكر فى تهذيب اللغة ، ويدل على التصحيح الواقع فى تلك الكتب ، والتفسير المزال عن وجهه .

ولوعه باللغة ورأيه في الاستشهاد بكلام العرب :

وكان الأزهرى مولعا باللغة دائماً البحث فيها وفي مصادرهما . وفي ذلك يقول (١) :

« وكنت منذ تماطيت هذا الفن في حدائتي إلى أن بلغت السبعين ، مولعا بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها ، وأخذها من مظانها ، وإحكام الكتب التي تأتي لي سماعها من أهل التثبث والأمانة ، للأئمة المشهورين ، وأهل العربية المعروفين ،

ثم يذكر الفرصة الموفقة التي أتت له حين امتحن بالأسر ، سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير ، ووقع في سهم عرب عامتهم من هوازن (١) ، واختلطت بهم أصرام من تميم وأسد ، وهم قوم نشئوا في البادية لا يكاد يقع في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش ، فاستفاد من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألهاماً جمة ، ونوادير كثيرة .

وهذا يقدم إلينا نظرتة في أن الاستشهاد بكلام العرب أمكن أن يمتد عنده إلى ما بعد سنة ٣١٢ وهي سنة وقعة الهبير .

أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في التهذيب :

ويذكر الأزهرى في مقدمته طبقات أئمة اللغة الذين اعتمد عليهم في جمع هذا الكتاب ، مبينا تراجمهم وآثارهم اللغوية ، وهم خمس طبقات :

الطبقة الأولى :

- ١- أبو عمرو بن العلاء ص ٨ من المقدمة .
- ٢- خلف الأحمر ص ٩ .
- ٣- المفضل بن محمد الضبي ص ١٠ .

الطبقة الثانية ، وقد أخذت عن الطبقة الأولى خاصة وعن العرب عامة ، وبعضهم بصرى وبعضهم كوفي ، وهم :

- ١- أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموى .
- ٢- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش .

(١) مقدمة الأزهرى ص ٧ .

(٢) انظر ما سبق ل ص ٧ من هذا التقديم .

- ٣ - أبو مالك عمرو بن كركرة .
- وقد ترجم لهؤلاء في إيجاز شديد في ص ١١ - ١٢ .
- ٤ - أبو زيد سميد بن أوس الأنصاري ص ١٢ .
- ٥ - أبو عمرو الشيباني ص ١٣ .
- ٦ - أبو عبيدة معمر بن المثنى ص ١٤ .
- ٧ - أبو سميد عبد الملك بن قريب الأصمعي ص ١٤ .
- ٨ - أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ص ١٥ .
- ٩ - أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ص ١٧ .
- ١٠ - النضر بن شميل للمازني ص ١٧ .
- ١١ - علي بن المبارك الأحمر ص ١٨ :
- ١٢ - أبو زكريا يحيى بن زياد القراء ص ١٨ .
- ١٣ - عمرو بن عثمان الملقب بسبيويه النحوي ص ١٩
- ١٤ - عبد الرحمن بن بزرج ص ١٩

الطبقة الثالثة :

- ١ - أبو عبيد القاسم بن سلام ص ١٩ .
- ٢ - أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي ص ٢٠ .
- ٣ - أبو الحسن علي بن حازم اللحياني ص ٢١ .
- ٤ - نصير بن أبي نصير الرازي ص ٢٢ .
- ٥ - عمرو بن أبي عمرو الشيباني ص ٢٢ .
- ٦ - أبو نصر صاحب الأصمعي .
- ٧ - الأثرم صاحب أبي عبيدة .
- ٨ - ابن نجدة صاحب أبي زيد الأنصاري .
- وقد ترجم لهؤلاء الثلاثة ترجمة موجزة في ص ٢٢ .
- ٩ - أبو حاتم السجستاني ص ٢٢ .
- ١٠ - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ص ٢٣ .
- ١١ - أبو سميد البغدادي الضرير ص ٢٤ .
- ١٢ - أبو عبد الرحمن عبدالله بن محمد بن هاني النيسابوري ص ٢٤ .

١٣ - أبو معاذ النحوى المروزى ص ٢٥ .

١٤ - أبو داود سليمان بن معبد السنجى ص ٢٥ .

الطبقة الرابعة :

١ - أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروى ، شيخ أبى تراب ص ٢٥ .

٢ - أبو الهيثم الرازى ص ٢٦ .

٣ - أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى ، الملقب بشعلب ص ٢٦ .

٤ - أبو العباس محمد بن يزيد الثمالى ، الملقب بالمبرد ص ٢٧ .

الطبقة الخامسة ، وهى الطبقة التى أدركها الأزهرى فى عصره ، منهم :

١ - أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج ص ٢٧ .

٢ - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأبارى ص ٢٨ .

٣ - أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، الملقب بنفطويه ص ٢٨ .

هذه الطبقات الخمس هى طبقات الثقات الأئمة المتقنين المبرزين .

أما الذين ألفوا كتباً أو دعوا إليها الصحيح والسقيم وحشوها بالمزال المفسد ، والمصحف المغر ، الذى لا يتميز ما يصح منه إلا عند النقب المبرز ، والعالم الفطن . فمن المتقدمين منهم :

١ - الليث بن المظفر ، الذى نحل الخليل كتاب العين جملة لينفقه باسمه . ص ٢١ .

٢ - محمد بن المستنير ، المعروف بقطرب ص ٣٠ .

٣ - عمرو بن بحر ، المعروف بالجاحظ ص ٣٠ .

٤ - أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينورى ، المعروف بابن قتيبة ص ٣٠ .

٥ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ص ١٣ .

ورجلان آخران من الخراسانيين المعاصرين هما :

٦ - أحمد بن محمد البشتى ، صاحب تكملة العين ، المعروف بالمارزنجوبى ص ٣٢ .

٧ - أبو الأزهر البخارى صاحب الحصائل ص ٤٠ .

وقد أوضح الأزهرى مطاعينه فى هؤلاء السبعة ، ولا سيما أحمد بن محمد البشتى ، الذى عرض لنا نماذج كثيرة من أخطائه ، بعد أن ساق ثبت الكتب التى اعتمد عليها فى تصنيفه .

منهج الأزهرى فى تأليف الكتاب وترتيبه :

أما منهجه فى التأليف فقد سبق الكلام عليه فى صدر الكلام على التهذيب^(١) .

وأما منهجه فى ترتيب مواد اللغة فيعبر عنه بقوله :

« ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين ، لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه . وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكرك فيه ، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه ، ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين ، مما يزيد فى بيانه وإيضاحه » .

فكتاب التهذيب جارٍ على نمط كتاب العين فى ترتيبه وتأسيسه .

ونظام حروف الهجاء الذى سارا عليه يتبع مخارج الحروف ، يبدأ بأقصاها فى الحلق وأدخلها ، وهو العين ، ثم ما قرب مخرجه منها الأرفع فالأرفع ، حتى يأتى على آخر الحروف ، وهو الياء . وهذا تأليفها :

ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م /
واى *

وقد نظمها أبو الفرج سلامة بن عبد الله المعافرى فى قوله^(٢) :

ياسائلى عن حروف العين دونكها فى رتبة ضمها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والحاء والعين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها صاد وسين وزاى بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل بالظاء ذال وئاء بعدها راء
واللام والنون ثم القاء والباء والميم والواو والمهموز والياء
وقد وجدت ضابطا من النظم لهذه الحروف فى صدر نسخة عارف حكمت من التهذيب
هذا نصه :

هذه الأبيات لاستخراج الحروف من الكتاب :

عن حزن هجر خريدة غنّاجة قلبى كواه جوّى شديد ضرار

(١) انظر ما سبق فى ص ١٦ .

(٢) الزهر ١ : ٨٩ .

صحي سيبتدون زجری طلباً دهنی تطلب ظالم ذی نار
رغماً لذی نصحي فؤادی بالهوی متلمب وذوی الملام یباری

ومن الواضح أن المراد الحروف الأولى من كلمات هذا النظم .

ويجری نظام أبواب الكتاب على الوجه التالي :

أولاً : للمضاعف . وتبدأ أبوابه من الحرف الأول وهو الهمزة وما يليها وهو الحاء ، ثم الميم مع الهاء وهكذا إلى آخر الحروف ، مع تقلبها إن أمكن قلبها ، مثل عق وقع ، على ألا يفاد التقلب عند ورود الحرف الثاني في مرضه ، اكتفاء بما تقدم .

ثانياً : أبواب الثلاثي الصحيح . تبدأ بالميم مع الحاء وما يثنهما بترتيب الحروف ، ثم الميم مع الهاء ثم مع الخاء والهمزة وهكذا إلى آخر الحروف ، مع تقلب كل مجموعة ثلاثية ومراعاة عدم التكرار فيما يستقبل ، ومع النص على ما استعمل من تلك التقلبات وما أهمل .

ثالثاً : أبواب الثلاثي المعتل . وتجری على النظام المتقدم ، مع إلحاق المهموز بالمعتل بالألف . وما يجدر ذكره قول الأزهري في باب الميم والباء : « أما عبأ فهو مهموز لا أعرف في معتلات العين حرفاً مهموزاً غيره » . ومما جاء من المهموز مع المعتل في باب الحاء : حضأ ، جزأ ، خطأ ، حدأ ، حلاً ، أتح ، حمأ .

رابعاً : أبواب اللفيف ، فن لفيف حرف العين : عوى ، عاعى ، ععى ، وعى ، وعوع . ويتلوه لفيف الحاء والهاء والخاء إلى آخر الحروف .

خامساً : الرباعي مرتباً على أبوابه . فن أمثلة العين مع الجيم : ججلنجج ، اثعنجج ، الهجرج ، الهجنج ، علهج .

ومن أمثلة العين مع الخاء : خضارع ، خر عوبة ، خثمم ، خيثمور .

ومن أمثلة العين مع الناف : قعضب ، قعضم ، الدعشوقة . . وهكذا .

سادساً : الخماسي بدون أبواب ، ففي كتاب العين نجد الكلمات التالية : هبنقع ،

خنشبة ، عشزر ، قمنزعة ، عفنقس ، عبنقس ، غضرفوط ، قد عملة ، قرطمة . الخ .

تاريخ تأليفه للتهذيب :

ذكر الأزهرى في مقدمته ص ٧ ما يفهم منه أنه ألف كتابه بعد السبعين ، إذ يقول :

« وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حدائى إلى أن بلغت السبعين مولعا بالبحث عن المعانى والاستقصاء فيها ، وأخذها من مظانها ، وإحكام الكتب التى تأتى لى سماعها من أهل الثبوت والأمانة ، للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين . »

وهذا نص قاطع بأنه ألف كتابه بعد سن السبعين، أى بعد اكتمال نضوجه العالمى ، وهذا يعطى قدرا عظيما لمؤلفه هذا ، ويعطى الثقة بما أثبتته فى مجمله .

موقفه من كتب اللغة :

أما الكتب المعتمدة والأئمة الموثقون فمن الميسور جدا أن يعرفها الباحث بتتبع ذكر الأئمة الذين اعتمد عليهم ، وقد ذكر أسماءهم وكتبهم فى المقدمة من ص ٨ - ٢٨ .
وأما الكتب التى لمعن فيها فكثيرة أيضا ذكرها فى المقدمة من ص ٢٨ - ٤١ .
وأظهر الكتب التى دلعن فيها : كتاب الجهرة لابن دريد، ثم كتاب العين المنسوب للخليل .
وفيه يقول فى المقدمة ص ٢٨ :

« فن المتقدمين : الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ، ويرغب فيه من حوله . وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى الفقيه أنه قال : كان الليث بن المظفر رجلا صالحا ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحب الليث أن ينفق الكتاب فسمى لسانه الخليل ، فإذا رأيت فى الكتاب : سألت الخليل بن أحمد ، أو أخبرنى الخليل بن أحمد ، فإنه يعنى الخليل نفسه . وإذا قال الخليل فإنما يعنى لسان نفسه . قال : وإنما وقع الاضطراب فى الكتاب من قبل خليل الليث . »

ثم ينقل تجريح ثعلب له ، وتجريح أبى بكر الإيادى الذى يقول فيه : « ذلك كتاب الزمى » ، ثم يبدى رأيه الذاتى منصفاً فيقول :

« وقد قرأت كتاب العين غير مرة ، وتصفحته تارة بعد تارة ، وعنيت بتتبع ما صحف وغير منه ، فأخرجته فى مواقفه من الكتاب ، وأخبرت بوجه الصحة فيه ، وبينت وجه

الخطأ ، ودلت على موضع الصواب منه . وستقف على هذه الحروف إذا تأملت في تضعيف أبواب الكتاب ، وتحمد الله — إذا أنصفت — على ما أفيدك فيها . والله الموفق للصواب ، ولا قوة إلا به .

وأما ما وجدته فيه صحيحا ، ولغير الليث من الثقات محفوظا ، أو من فصحاء العرب مسموما ، ومن الريبة والشك لشهرته وقلة إشكاله بعيدا ، فإني أعزبه إلى الليث بن المظفر ، وأؤديه بلفظه ، ولعل قد حفظته لغيره في عدة كتب فلم أشتغل بالفحص عنه لمعرفة بصحته ، فلا تشكك فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحا ، واحمدني على نفي الشبه عنك فيما صححته له ، كما تحمدني على التنبيه فيما وقع في كتابه من جهته أو جهة غيره ممن زاد ما ليس منه . ومتى ما رأيتني ذكرت من كتابه حرفا وقلت إنني لم أجده لغيره فاعلم أنه مرئوب ، وكن منه على حذر والحص عنه ، فإن وجدته لإمام من الثقات الذين ذكرتهم في الطبقات فقد زالت الشبه ، وإلا وقفت فيه إلى أن يوضح أمره .

قيمة كتاب التهذيب :

لا يعرف قدر هذا الكتاب حق المعرفة إلا من نظر فيه طويلا ، وتتبع منهجه الوثيق في تفسير اللغة ، والأمانة الصادقة التي كان يستشعرها وهو يصنع كتابه .

يقول فيه السيوطي : « وكان عارفا بالحديث ، عالي الإسناد ، نخب الورع » .

ومما يجدر ذكره هنا أن الأزهرى ألفه بعد بلوغه السبعين من عمره كما يفهم من المقدمة ص ٧ . أي في نحو سنة ٣٥٢ .

وفضلا عن القدر الهائل من المادة اللغوية التي يحويها محاولا بها تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي وأشعار العرب وأمثالها ، نجد له خاصة ظاهرة ، هي عنايته بالناحية البليدية التي استوعب بها التعريف بالكثير من بلدان الجزيرة العربية ، وهو اتجاه مبكر على نطاق واسع في التأليف المعجمي ، بلغ ذروته فيما بعد ، فيما صنع الفيروزبادي في معجمه القاموس المحيط .

وكذا عنايته الخاصة بشرح الأحاديث النبوية التي فاتت أبا عبيد ، والقتيبي ، والخطابي .

ويكفي أن نذكر أن صاحب لسان العرب اعتمد عليه اعتماداً كاملاً ، وجعله في قبة مصادره . وأستطيع أن أقول إن صاحب اللسان قد أفرغ معظم الكتاب في تضاعيف معجمه ، فنذر أن نجد نصاً للأزهري لم ينقله ابن منظور . وفي ذلك يقول صاحب اللسان في مقدمته :

« ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولا أكل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله ، وهما من أمهات اللغة على التحقيق ، وما عداها بالنسبة إليهما ثنيات الطريق . غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ، ومنهل وعر المسلك ؛ وكان واضعه شرع للناس مورداً عذبا وجلأثم عنه ، وارتاد لهم مربعا ومنعمهم منه ، قد آخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر ؛ بالقيف والمعتل والرباعى والخامسى فضاع المطوب ، فأهمل الناس أمرها ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب . ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب (مختصره) ، وشهره بسهولة وضعه شهرة أبي دلف بين بادية ومحتضره ، نخف على الناس أمره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقضوه ، غير أنه في جواللغة كالدرة ، وفي بحرها كالقطرة ، وإن كان في بحرها كالدرة . وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، وجزف فيما صرف ، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن برى فتتبع ما فيه ، وأملى عليه أماليه ، مخرجا لسقطاته ، مؤرخا لغلطاته ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك ، الذى لا يسام فى سعة فضله ولا يشارك ، ولم أخرج عما فى (هذه الأصول) ، ورتبته ترتيب الصحاح فى الأبواب والفصول . وقصدت توشيعه بجامل الأخبار ، وجمل الآثار ، مضافا إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم ، والكلام على معجزات الذكر الحكيم ، ليتحلى بترصيع دررها عقده ، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حله وعقده ؛ فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى قد جاء فى ذلك بالنهاية ، وجاوز فى الجودة حد الغاية ، غير أنه لم يضع الكلمات فى محلها ، ولا راعى زائد حروفها من أصلها ، فوضعت كلا منها فى مكانه ، وأظهرته مع برهانه . »

فهو كما ترى قد صدر كتاب التهذيب فى أول مصادره الخمسة الرئيسة ، وهى التهذيب ، والمحكم ، والصحاح ، وأمالي ابن برى على الصحاح ، ونهاية ابن الأثير .

ويقول ابن منظور أيضا في توثيق الأزهرى وابن سيده :
« وأنا مع ذلك لا أدعى فيه دعوى فأقول : شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت ،
أو شددت أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعوى لم يترك
فيها الأزهرى وابن سيده لقائل مقالا ، ولم يخليا فيه لأحد مجالا ، فإنهما عنيا في كتابيهما
عمن رويا ، وبرهنا عما حويا ، ونشرا في خطهما ما طويا ، ولمرى لقد جمعا فأوعيا ، وأتيا
بالمقاصد ووفيا . »

نسخة الأزهرى من التهذيب :

يحدثنا التاريخ عن النسخة التي كتبها الأزهرى بنفسه ، وكانت في عشرين مجلدا ، ثم
انتقلت بعد موته إلى آل السمعاني ، ثم انتهى خبرها في وقعة لترك سنة ٦١٧ . يقول
القفطى في الكلام على التهذيب :

« وقد رزق | هذا | التصنيف سعادة ، وسار في الآفاق ، واشتهر ذكره اشتهار
الشمس ، وقبلة نفوس العلماء ، ووقع التسليم له منهم ، وصادف طالع سعد عند تأليفه .
ومشوهه على المجلد العشرين عند تأليفه من النسخة التي بخط المؤلف - وكانت بمرو ، وعند
آل السمعاني رحمهم الله ، وذهب خبرها في وقعة الترك سنة سبع عشرة وستائة - بخط
الإمام فخر خوارزم أبي القاسم محمود بن عمر الزنخشرى (٤٦٧ - ٥٨٣) ما صورته :

ظفرت من هذه النسخة - التي هي نسيج وحدها ، لسكونها بخط المصنف ، وسلامة
نقطها وشكلها من التحريف والزلال التي لا يكاد يبرأ منه يد كاتب في كتاب خفيف الحجم
وإن أحضر ذهنه ، وأمدته إتيان ، وساعده حفظ ودراية ، فضلا عن ^(١) عشرين
مجلدة ^(٢) بضالتي المنشودة ، فأكببت عليها إكباب الحريص ، وقابقتها بالمطالعة ، وعالقت
عندي ما فيها من الأحاديث التي خلت عنها مصنفات أبي عبيد ، ورائقي ، والخطابي ،
والأمثال التي لم تكن في كتابي الذي سميته بالمستقصى في أمثال العرب ، وسألت الله تنوير
حفره ، تصحيح وتنقيح || وذلك في شهر سنة خمس وستائة . »

(١) قال ابن خلسكان : « وهو من السكتب الخزانة . يكون أكثر من عشر مجلدات . » وقال السبكي في
الطبقات : لأنه في عشر مجلدات .
(٢) في الأصل : « في » .

ومما يجدر ذكره في صدد تعيين عدد أجزاء نسخة الأزهرى أئى عثرت في آخر حرف الحاء من نسخة دار الكتب المصرية رقم (٩ لغة) في ص ٧٩٣ من الجزء الأول هذا النص :
« آخر حرف الحاء والحمد لله رب العالمين ، وهو آخر المجلد السابع من خط أبى منصور الأزهرى رحمه الله . منه نقلت هذا الكتاب وفرغت منه يوم الأربعاء السابع عشرى محرم سنة ٦١٥ هـ . »

مخطوطات التهذيب :

تمكن الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار من أن يحصى من هذه المخطوطات تسعة عشر مخطوطاً ، منها ١٣ في تركيا ، وثلاثة في مصر ، وواحد في كل من الحجاز وسوريا ولندن . ووصف هذه المخطوطات وصفا موجزا في كتابه (مقدمة تهذيب اللغة)^(١) .

والذى أمكن الانتفاع به في هذا الجزء الأول من التهذيب نسخ ثلاث :

١ - نسخة دار الكتب المصرية برقم (٩ لغة) . وهى فى مجلدين كبيرين بكل صفحة ٣٥ سطرا ، وبالسطر الواحد نحو ١٥ كلمة . وهى بخط نسخى جميل كامل الضبط ، وفيها بعض تلفيق فى المخطوط ولا سيما فى أواخر المجلدين . والنسخة مع ذلك منقوصة فى آخرها . والجزء الأول فى ١٢٨٠ صفحة والثانى فى ٧٩٨ . وهى من وقف محمد بك أبو الذهب فى جامعہ . وقد صورت دار الكتب منها نسخة فى عدة مجلدات تحمل الرقم (٤٨٧٠ هـ) . وهذه النسخة هى التى رمز لها بالرمز (د) .

٢ - نسخة المدينة المنورة ، بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى برقم (٤٣) . وعدد أوراقها ٩٠٠ ورقة بكل صفحة منها ٤١ سطرا وهو بخط نسخى معتاد دقيق ، يرجع تاريخه إلى القرن التاسع أو العاشر . ومنها (فيلم) بمهد إحياء المخطوطات العربية برقم (١٩) صورت منه نسخة وزعت على محققى التهذيب . وهذه النسخة كاملة وأقرب ما تكون إلى الصحة ، وبها بعض الضبط الضرورى . وهى منقولة من نسخة كتبها ياقوت بن عبد الله الحموى سنة ٦١٦ هـ .

وهذه النسخة هى المرموز لها بالرمز (م) .

٣ - نسخة دار الكتب المصرية برقم (١٠ لغة) . وهى نسخة منقوصة الأول ، وبها مع ذلك بعض خروم فى أثنائها ، وهى ملفقة من عدة مخطوطات يرجع تاريخ بعضها إلى سنة ٦٣٣ وبعضها إلى سنة ٦٥٦ وبعضها إلى سنة ٦٣٣ وبعضها إلى سنة ٦٨٦ وبعضها إلى

(١) كتاب مقدمة تهذيب اللغة طبع ، دار مصر للطباعة سنة ١٣٧٦ من ١٥ - ٢١ .

سنة ٦٨٧ وبمضها إلى سنة ٧٥٢ . وهى من وقف خزانة الملك المؤيد أبى النصر شيخ . وقد كتب على بعض أجزاءها أنه من رواية أبى أسامة جنادة بن محمد الأزدي عن الأزهرى . وهى فى ١٧ جزءا آخرها الجزء ١٨ أما الجزء الأول ففقود .

ولم يمكن الانتفاع بهذه النسخة فى هذا الجزء الأول إلا فى مادة (رجم) فى ص ٢٦٥ إلى ص ٣٦٦ حيث وردت فى الجزء الثانى (الذى هو أول جزء من هذه للنسخة) ورقة مقحمة بعد الورقة الأولى منه ، أولها : « والمرجوعة والمرجوع : جواب الرسالة » وهى فى ص ٢٦٥ س ٩ من العمود الأيمن ، إلى « الارتجاع : أن يقدم الرجل المصر بإبله » فى ص ٣٦٦ من العمود الأيسر . وكذلك مادة (عجد) إلى مادة (جدع) عند نهاية بيت أوس بن حجر ص ٣٤٦ س ٢ من العمود الأيسر .

والسر فى ذلك هو اضطراب أوراق المجلد الأول منها لدخول بعض أوراق من الجزء الأول المفقود فى أثناء هذا الجزء المجلد وهى التى أمكن الانتفاع بها فى مقابلة هذه الصفحات . وهذه النسخة مستخرجة من (دشت) المؤيد كما كتب على ظاهرها ، وأضيفت إلى دار الكتب فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٩٣ م .

وقد بدأ تقسيم كتاب تهذيب اللغة على جماعة مختارة من المحققين والمراجعين منذ نحو سبع سنوات ، وكان من نصيبى تحقيق هذا الجزء الأول ، كما قمت بتحقيق الجزء التاسع من هذا التقسيم الجديد للكتاب ، الذى يستغرق ثلاثة عذر جزءا .
ولله الحمد على ما أعان ووفق .

عبد السلام هارون

مصر الجديدة فى } أول رجب سنة ١٣٨٤
٥ من نوفمبر سنة ١٩٦٤